العدد 2305 - السنة الثامنة
الأربعاء 22 محرم 1437 - الموافق 4 نوفمبر 2015
Wednesday 4 November 2015 - No.2305 - 8th Year

إعداد : ياسر السيد

علاقة أقوى من النسب تنشأ بين المسلمين

« إنما المؤمنون إخوة »

المقصود بها: الأخوة في الله، التي يلتقي فيها المؤمنون على حُب الله ومرضاته والاعتصام بمنهجه القويم.. ويرعون فيها حقوقها، من المحبة والتناصح والتعاون والبذل، والحرص على اجتماع الكلمة ودفع الظلم والأذى، وتفقد الأحوال، والإصلاح، والتقوى، والإحسان.. يقول الله عز وجل في محكم التنزيل:

(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) (الحجرات:10).

لاحظوا كلمة (إنما) في الآية الكريمة، فهي (أداة حصر) أي أن الله عز وجل يخبرنا بأنه: لا أخوة حقيقية إلا أخوة الإيمان والإسلام، وعلاقة الأخوة بين المؤمنين أقوى من علاقة النسب، تضعف بضعف إيمانهم، وتقوى بقوة هذا الإيمان!.. ويقوى الإيمان بقوتها، ويضعف بضعفها!.. وهذا ما يجعلنا نقرر القاعدة التالية:

[الأخوة (في الله) والإيمان.. أمران متلازمان يؤثر أحدهما على الآخر، فيما يضعفان معا وينقويان معا].

-2 والأخوة هي: التي عقد الله سبحانه وتعالى لواءها، وتدخل لتحقيقها بين المؤمنين، لأهميتها في رفع لواء الإسلام وحمل الأمانة التي أودعها جل شانه في هذه الأمة ولدى إيمانها البررة:

(وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) (الأنفال:63).

-3 الأخوة الحقيقية مبنية على العقيدة السليمة، فكل مسلم مؤمن هو أخي في الإسلام، مهما كان لونه أو جنسه أو بلده أو حسبه ونسبه.. وكل كافر منحرف عن عقيدة الإسلام بعيد عني، أبرأ إلى الله منه ومن صحبته أو موالاته أو التحالف معه أو مناصرته أو مؤازرته، وخير أمثلة على ذلك ما يلي:

أ- إبراهيم الخليل عليه السلام مع أبيه:

(وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) (التوبة:114).

فإبراهيم عليه السلام كان قد وعد أباه بأن يستغفر الله له، لكنه عندما علم أنه من أهل النار وأنه عدو لله عز وجل.. تبرأ منه!..

ب- نوح عليه السلام مع ولده:

(ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين) (هود:46).

ج- لوط عليه السلام مع امرأته:

(ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين) (العنكبوت:33).

د- مواقف إيمانية رائعة لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

في غزوة بدر، قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه الكافر، وأنزل الله عز وجل في ذلك قوله في محكم التنزيل:

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) (المجادلة:22).

لنلاحظ كيف ربط الله عز وجل الموقف من أعداء الإسلام، بالإيمان، فمودة الكافرين دليل على ضعف الإيمان، وبخاصة إذا ترتب على هذه المودة عون لهم على المسلمين وأوطانهم وشعوبهم، وسيحاسب الله عز وجل من يفعل ذلك أشد الحساب!.. بينما مفاصلة الكفر دليل على قوة الإيمان (بالله واليوم الآخر)، ومن يلتزم بذلك فهو من الذين قال الله عز وجل عنهم: (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه)!.. وبناء على هذه القاعدة الإيمانية، فقد قتل (مصعب بن عمير) -في معركة- أخاه الكافر (عبيد بن عمير)، و(قتل عمر بن الخطاب) خاله الكافر (العاص بن هشام).. وهكذا، حينما تحتدم المعركة بين أهل الإيمان وأهل الكفر، فالمعيار لاتخاذ الموقف هو معيار الإيمان.

ثانيا: ثمرات الأخوة في الله عز وجل

-1 نيل رضى الله سبحانه وتعالى وحبه وحسن عبادته وأجره:

(ما تحابّ اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه) (ابن حبان والحاكم).

-2 التنعم بحلاوة الإيمان:

(ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان.. وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله) (متفق عليه).

-3 التنعم بظل العرش يوم القيامة:

(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه..) (متفق عليه).

-4 اعتلاء المنزلة الرفيعة في الآخرة:

(إن لله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء.. لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، لباسهم نور، ووجوههم نور، وإنهم لعلى نور!.. قالوا: صفهم لنا يا رسول الله. قال: هم المتحابون في الله، والمتجالسون في الله، والمتزاورون في الله) (أحمد).

ما أعظم هذا الحديث، وما أعظم معانيه ودروسه.

وهكذا فالأخ في الله حريص على أخيه، يتألم لألمه، ويحزن لحزنه، ويفرح لفرحه.. ومقابل ذلك له الجنة والبركة والنعيم من الله عز وجل.. وهنا نؤكد على أن للأخوة حقوقا ينبغي مراعاتها بين الإخوة، لأنهم بذلك يعبرون عن جوهرها التي أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتمسك به ومراعاته، لتكون الأخوة انعكاسا حقيقيا لإيمان صادق مرهف بالله عز وجل، ويخلق المسلم المؤمن الحق!..

لقد انتهينا في ما ذكرناه آنفا، إلى أن الأخ (في الله) حريص على أخيه، يتألم لألمه، ويحزن لحزنه، ويفرح لفرحه.. ومقابل ذلك له الجنة والبركة والنعيم من الله عز وجل.. وهنا نؤكد على أن للأخوة حقوقا ينبغي مراعاتها بين الإخوة، لأنهم بذلك يعبرون عن جوهرها التي أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتمسك به ومراعاته، لتكون الأخوة انعكاسا حقيقيا لإيمان صادق مرهف بالله عز وجل، ويخلق المسلم المؤمن الحق!..

من هذه الحقوق:

-1 الولاء والنصرة والمحبة:

فإذا كان الكافرون بعضهم أولياء بعض علي الشر (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض..) (الأنفال: من الآية 73).. فالأولى بالمسلمين المؤمنين أن يكونوا متمتعين بأعلى درجات الولاء بعضهم لبعض، والمحبة الخالصة:

(إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض..) (الأنفال: من الآية 72).

(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا..) (متفق عليه).

-2 المواساة:

بدءا من الكلمة الطيبة.. وانتهاء ببذل الوقت والمال والمتاع، في سبيل استمرار أواصر الأخوة بين المؤمنين، ولنا في الأنصار الذين ناصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هاجر معه إلى المدينة.. عبرة عظيمة، فقد قدم الأنصار لإخوانهم المهاجرين المال والمأوى وكل ما يمكن تقديمه من متاع الدنيا:

(والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (الحشر:9).

-3 الرحمة:

فلا خير في أخوة لا تكون الرحمة جوهرها، ولا خير في إخوان لا تكون الرحمة أساس التعامل فيما بينهم: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا..) (الفتح: من الآية29).

(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (متفق عليه).

-4 الخلق الحسن:

فمعادن الأخوة الأخلاق الفاضلة، فإن افتقدت.. انتهت أواصر الأخوة:

- فلا شماتة بين الإخوان: (لا تظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويبتليك) (الترمذي).

- ولا تكبّر: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر) (مسلم).

- ولا تعسير: (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا) (الجماعة إلا مسلما).

والمطلوب من الإخوان الذين يرعون حقوق الأخوة فيما بينهم، أن يكونوا على ما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: (من نفس عن مؤمن كربة، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) (مسلم).

رابعا: الأمور التي تتناقض مع الأخوة في الله

كثيرة الأمور التي تمزق أواصر الأخوة في الله، وعلينا الابتعاد عنها.. بعضها بسيط، وبعضها ليس كذلك، لكنها كلها معاول هدم للأخوة، تأتي على كل معانيها فتفقدها روحها وحيويتها، ويحل الجفاء مكانها وربما القطيعة، من هذه المعاول الهدامة:

-1 تقديم الآراء الشخصية والأهواء، على المصلحة العامة والأصول والكتاب والسنة:

(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم) (الحجرات:1).

ويقول عمر رضي الله عنه: (تعرف إلى الرجال بالحق، ولا تتعرف إلى الحق بالرجال)!.. فالحق هو المقياس الذي يقاس عليه الرجال، وليس العكس، وليس ما قاله فلان هو الحق وما عداه هو الباطل!..

-2 عدم التثبت من الأنباء:

وإنه لأمر عجيب أن شهان الأخوة وشداس أحيانا، بنزوة عابرة أساسها عدم التثبت من الأنباء، التي يمكن أن يسمعها الأخ عن أخيه، والله عز وجل يقول: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (الحجرات:6).

-3 عدم الأخذ بميزان التفاضل الذي شرعه الله عز وجل:

بل الأخذ بموازين الجاهلية.. من نسب، وجنسية، ولون، وإقليمية، وقومية، وعائلية، و.. وغيرها: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) (الحجرات:13).

-4 السخرية وانتقاص الإخوان، وبخس الناس حقوقهم وأشياءهم:

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) (الحجرات:11).

يروى عن (سفيان الثوري) رحمه الله قوله: (إن الرجل ليحدثني بالحديث قد سمعته قبل أن تلده أمه، فيحملني حسن الأدب أن أسمعه منه)!.. إنه التواضع والأدب الجم وخفض الجناح للمؤمنين، فهل نتعلم؟!..

مساجد الإسلام .. في كل مكان

مسجد عقبة بن نافع بتونس

جامع عقبة بن نافع أو جامع القيروان الكبير هو مسجد بناه عقبة بن نافع في مدينة القيروان التي أسسها بعد فتح إفريقية (تونس حاليا) على يد جيشه. كان الجامع حين إنشائه على أغلب الظن بسيطا صغير المساحة تستند أسقفه على الأعمدة مباشرة، دون عقود تصل بين الأعمدة والسقف.

حرص الذين جددوا بناءه فيما بعد على هيئته العامة، وقبلته ومحرابه، وقد تمت زيادة مساحته كثيرا ولقي اهتمام الأمراء والخلفاء والعلماء في شتى مراحل التاريخ الإسلامي، حتى أصبح معلما تاريخيا بارزا ومهما. و بناء الجامع في شكله وحجمه وطرازه المعماري الذي نراه اليوم يعود أساسا إلى عهد الدولة الأغلبية في القرن الثالث هجري أي التاسع ميلادي وقد تواصلت الزيادات والتحسينات خصوصا في ظل الحكم الصنهاجي ثم في بداية العهد الحفصي.

و يعتبر المسجد الجامع بالقيروان من أضخم المساجد في الغرب الإسلامي وتبلغ مساحته الجملية ما يناهز 9700 متر مربع ومقياسه كالتالي ما يقارب 126 متر طولا و 77 متر عرضا وبيت الصلاة فيه واسع ومساحته كبيرة يستند إلى مئات الأعمدة الرخامية هذا إلى جانب صحن فسيح الأرجاء تحيط به الأروقة ومع ضخامة مساحته فجامع القيروان الكبير أو جامع عقبة بن نافع يعد أيضا تحفة معمارية واحد أروع المعالم الإسلامية.

مئذنة جامع عقبة تعد من أقدم المآذن في العالم الإسلامي وهي تتكون من ثلاث طبقات ويصل ارتفاعها إلى 31.5 مترا

جامع القيروان يحتوي على كنوز قيمة فالمنبر يعتبر تحفة فنية رائعة وهو مصنوع من خشب الساج المنقوش ويعتبر أقدم منبر في العالم الإسلامي ما زال محتفظا به في مكانه الأصلي ويعود إلى القرن الثالث للهجرة أي التاسع ميلادي. كذلك مقصورة المسجد النفيسة التي تعود إلى القرن الخامس هجري أي الحادي عشر ميلادي وهي أيضا أقدم مقصورة ما زالت محتفظة بعناصرها الزخرفية الأصلية.

الشكل الخارجي للجامع يوحي للناظر أنه حصن ضخم إذ أن جدران المسجد سميكة ومرتفعة وشدت بدعامات واضحة.

ومن آياته أن جمعت بقايا هذه الأمم السالفة لتؤلف بيتا يذكر فيها اسم الله. وهو ما يضفي على جامع القيروان مسحة إنسانية تؤهله ليصبح تراثا عالميا قد أسهمت في تشييده حضارات متتالية، وهو يعكس بذلك تاريخ إفريقية على امتداد ثلاثة آلاف سنة. فما من أمير أو خليفة أو سلطان يسعى لجميل الذكر وحسن الخلود ويبتغي ثواب ربه إلا وقد التمس وجها لاعمار هذا الجامع أو ترميمه وتحسين مظهره. فهذا الجامع مرآة ناصعة لتجليات الحضارة العربية الإسلامية في بلادنا.

وجامع القيروان يمثل الوجه المتألق للعمارة القيروانية التي ظلت من أبرز روافد العمارة المغربية والأندلسية عبر التاريخ حيث أصبح جامع عقبة بن نافع النموذج السائد والمثال الذي تحتذي به الجوامع المغربية عامة والتونسية خاصة. و تقع القيروان في تونس على بعد 156 كم من العاصمة تونس. وكلمة القيروان كلمة فارسية دخلت إلى العربية، وتعني مكان السلاح ومحط الجيش أو استراحة القافلة وموضع اجتماع الناس في الحرب. قام بإنشاء القيروان عقبة بن نافع رضي الله عنه عام 50هـ ولقد لعبت القيروان دورا أساسيا في تغيير مجرى تاريخ الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط وفي تحويل إفريقية (تونس) والمغرب من أرض مسيحية لهجتها لاتينية، إلى أرض لغتها العربية ودينها الإسلام.

«ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون»

اسم الله ... السلام

قال تعالى: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [الحشر: 23].

قال ابن القيم رحمه الله: القدوس: المنزه من كل شر ونقص وعيب كما قال أهل التفسير هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به وهذا قول أهل اللغة.

وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة ومنه بيت المقدس لأنه مكان يتطهر فيه من الذنوب ومن أمه لا يريد إلا الصلاة فيه رجع من خطيئته كيوم ولدته أمه ومنه سميت الجنة حظيرة القدس لطهارتها من آفات الدنيا ومنه سمي جبريل روح القدس لأنه طاهر من كل عيب ومنه قول الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقيل المعنى ونقدس أنفسنا لك فعدى باللام وهذا ليس شيء والصواب أن المعنى نقدسك ونتزهك عما لا يليق بك هذا قول جمهور أهل التفسير.

وقال ابن جرير: (ونقدس لك ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس ومما أضاف إليك أهل الكفر بك. قال وقال بعضهم: «نعظمك ونمجدك» قاله أبو صالح. وقال مجاهد: «نعظمك ونكبرك») انتهى.

وقال بعضهم تنزهك عن السوء فلا تنسبه إليك واللام فيه على حدها في قوله: ردف لكم لأن المعنى تنزيه الله لا تنزيه نفوسهم لأجله قلت ولهذا قرن هذا اللفظ بقولهم نسبح بحمدك فإن التسبيح تنزيه الله سبحانه عن كل سوء، قال ميمون بن مهران: (سبحان الله كلمة يعظم بها الرب ويحاشى بها من السوء).

وقال ابن عباس: (هي تنزيه لله من كل سوء).

وأصل اللفظة من المباعدة من قولهم سبحت في الأرض إذا تباعدت فيها ومنه كل في فلك يسبحون فمن أثنى على الله ونزهه عن السوء فقد سبحه ويقال سبح الله وسبح له وقدسه وقدس له (2)

وقال أيضا: وأما السلام فإنه الذي سلم من العيوب والنقائص ووصفه بالسلام أبلغ في ذلك من وصفه بالسالم ومن موجبات وصفه بذلك سلامة خلقه من ظلمه لهم فسلم سبحانه من إرادة الظلم والشر ومن التسمية به ومن فعله ومن نسبته إليه فهو السلام من صفات النقص وأفعال النقص وأسماء النقص لمسلم لخلقه من الظلم ولهذا وصف سبحانه ليلة القدر بأنها سلام والجنة بأنها دار السلام وتحية أهلها السلام وأثنى على أوليائه بالقول السلام كل ذلك السالم من العيوب (3)

وقال في موضع آخر: ولما كان السلام اسما من أسماء الرب تبارك وتعالى، وهو اسم مصدر في الأصل - كالكلام والعطاء - بمعنى السلامة كان الرب تعالى أحق به من كل ما سواه: لأنه السالم من كل آفة وعيب ونقص وذم، فإن له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وكماله من لوازم ذاته، فلا يكون إلا كذلك. والسلام يتضمن سلامة أفعاله من العبث والظلم وخلاف الحكمة، وسلامة صفاته من مشابهة صفات المخلوقين، وسلامة ذاته من كل نقص وعيب، وسلامة أسمائه من كل ذم، فاسم السلام يتضمن إثبات جميع الكمالات له وسلب جميع النقائص عنه.

وهذا معنى: سبحان الله والحمد لله، ويتضمن إفراده بالألوهية وإفراده بالتعظيم، وهذا معنى: لا إله إلا الله والله أكبر، فانتظم اسم (السلام) الباقيات الصالحات التي يثنى بها على الرب جل جلاله.

ومن بعض تفاصيل ذلك أنه الحي الذي سلمت حياته من الموت والسنة والنوم والتغير، القادر الذي سلمت قدرته من اللغوب والتعب والإعياء والعجز عما يريد، العليم الذي سلم علمه أن يعزب عنه مثقال ذرة أو يغيب عنه معلوم من المعلومات، وكذلك سائر صفاته على هذا.

فرضاء سبحانه سلام أن ينازعه الغضب، وحلمه سلام أن ينازعه الانتقام، وإرادته سلام أن ينازعها الإكراه، وقدرته سلام أن ينازعها العجز ومشيئته سلام أن ينازعها خلاف مقتضاها، وكلامه سلام أن يعرض له كذب أو ظلم، بل تمت كلماته صدقا وعدلا، ووعده سلام أن يلحقه خلف، وهو سلام أن يكون قبله شيء أو بعده شيء أو فوقه شيء أو دونه شيء، بل هو العالي على كل شيء وفوق كل شيء وقبل كل شيء وبعد كل شيء، والمحيط بكل شيء، وعطاؤه ومنعه سلام أن يقع في غير موقعه، ومغفرته سلام أن يبالي بها أو يضيق بذنوب عباده أو تصدر عن عجز عن أخذ حقه كما تكون مغفرة الناس، ورحمته وإحسانه ورأفته وبره وجوده وموالاته لأوليائه وتحببه إليهم وحنانه عليهم وذكره لهم وصلاته عليهم سلام أن يكون لحاجة منه إليهم أو تعزز بهم أو تكثر بهم.

وبالجملة فهو السلام من كل ما ينافي كلامه المقدس بوجه من الوجوه.